

## النظرية العامة للعلامة / النظرية السيميائية ج.س. بورس (1839-1914)

### السيميائيات و التأويل المحاضرة والملخص

1- **نظرية العلامة** تقوم نظرية العلامة عند *بارس* على مفهوم المقولات الابستيمية حيث يعتبر الفيلسوف أن عملية الادراك ليست فعلا مباشرا و إنما تكون العلامة في النشاط الفكري بمثابة العامل الوسطي بين الفكر من جهة و بين العالم الخارجي.

2- **العلامة و الفكر** لا يقوم فعل التفكير إلا في إطار العلامات و لا يمكنه أن يوجد خارجها. حيث أن العلامة تشمل الوجود، و لا يمكن للموجودات أن تشكل الواقع إلا من خلال مثوله كعلامة أي السميوز.

السميوز شأنه شأن الفكر ، هو فعل ناقص بالضرورة، إنه يمثل في لحظة الإحالة و في الضمني و في المحتمل و في الكامن. هو منبع لا ينضب من الدلالات، كما أنه لا يدل على معنى واحد بعينه تثبت الوقائع بشكل نهائي: حيث لا أمل في الخروج من دائرة المعنى و لا أمل في الوقوف على معنى كلي و نهائي يقول: "إن السميوز في هروبه اللامتناهي من علامة إلى علامة ، و من توسط إلى توسط، لا يتوقف إلا عند لحظة إنصهاره في العادة، و عندها فقط تبدأ الحياة و يبدأ الفعل."

العلامة التي يصفها بكونها الوسطة التي من خلالها يتم فعل الإدراك و التي ينحصر فيها فعل التفكير هي العلامة الممتدة إلى خارجها إلى غيرها و عندما يتم هذا الامتداد تنشأ القاعدة والقانون و العادة، و تموت العلامة عندئذ.

3- **العلامة و التأويل**: يكون التأويل دائما مرتبطا بغايات ما، فعندما نؤول فعلا ما أو واقعة ما فإنها ترجمة لصيقة الوثاق بالحاجة و الإيجابار. مثل الحاجة و الضرورة إلى إيجاد المعاني التي تريحنا و تطابق المبادئ المصنفة لدينا بالمقبولة .

السميوز مفهوم لا متناهي و إحتمالي بينما الحاجة التي تطبع الانسان هي التي تقلص و تحد السميوز، و لهذا السبب ، كانت الحاجة إلى مؤولات متعددة و ليس لمؤول واحد، حيث ينظر للسميوز على أنه نظرية التأويل إذ أن العلامة لا تقتصر على مجرد الوظيفة الدلالية أي مجرد الاشارة لموضوعها و لكنها تحمل معرفة تتعلق بحقيقة الموضوع كموضوع خالص و كجوهر في ذاته.

4- نظرية المقولات: لا تقوم نظرية المعرفة إلا من خلال تحديد العلاقة التي تربط الذات بالعالم في كيفية حصولها على الإدراك و تحديدها للمفاهيم و التصورات.

إن الآلية المنتجة للإدراك و الفهم و التي تحقق التواصل بين الأفراد تبدأ عند الإحساسات ثم تنتقل إلى الوجود و بعدها إلى الرمزية و هو ما يسميه بالتوزيع الثلاثي للعلامة الذي يصنفه المفهومات الثلاثة الآتية، النوع ثم الفعل ثم القانون.

يبين هذا التصنيف الثلاثي أن إدراك الظاهر لا يكون دفعة واحدة كما و أنه لا يقوم على المعطيات الحسية المعزولة. فالمقولات ليست بمضامين مفهومية معطاة مسبقا، و مكتفية بذاتها، بل هي تصورات رمزية تقاس بها مظاهر التجربة البشرية. سيعيد بورس الصياغة لاحقا فيما يتعلّق بهذا البروتوكول ويصنّفه ضمن المقولات الفينومولوجية (1885).

#### 5- التصنيف الفينومولوجي للمقولات:

الوجود	الامكان النوعي والموضوعي	النوع	الأولانية
الوجود	الواقعة الفعلية	الواقعة العلامة	الثانائية
الوجود	القانون	التوسط	الثالثائية

6- المسائل الإبيستيمية: المقولات الفينومولوجية و العملية الفكرية: المقولات الفينومولوجية تصف الحاضر الظاهر والظاهر هو كل ما يحصل في الذهن، خلال عملية التفكير، بغض النظر عن مدى تطابقه أو عدم تطابقه للموضوع الواقعي.

العملية الإدراكية ليست مجرد فعل عفوي في أثناء قيام الذات بفهمها للوقائع المعطاة في العالم الخارجي، كما و أنها ليست عملية بسيطة، حيث إن موضوعات العالم الخارجي تتسلل إلى الذات المدركة من خلال السيرورة التي تشمل على اللحظات الثلاثة الآتية:

**1- اللحظة الأولى:** التي فيها تخلو الذات من القصدية حيث يكون الشعور بسيطا أي لم تتمثل فيه صفات الموضوعية ولا الذاتية، وليس الشعور لا فاعلا ولا منفعا.

إن حالة اللحظة الأولى هي الحالة الإحتمالية و فيها يوصف الشعور بكونه غير مدرك في ذاته في صورته المطلقة، إنه في مستوى الإستجابة لحضور خالص لذات ما ، هو في حالة إرتباطه بها، حيث و إن الأمر لا يدلّ عن قصدية بعينها و إنما المحسوس يوجد لمجرد أنه يوجد بالنسبة للمدرك لا أكثر و لا أقلّ .

**2- اللحظة الثانية:** التي فيها تتمثل القصدية حيث يكون الشعور مستقلا و عاما و يكون فاعلا إذ يراقب الإمكان كخاصية من جهة و التحقق كخاصية أخرى.

في هذه الحالة يكون الشعور قد بلغ المستوى المفهوماتي، إذ عند هذا المستوى تتم أفعال التجريد، حيث و إن فيه يتمّ فهم المحسوس فهما مفهوماتيا. إن غياب المفاهيم لا يدلّ إلا على غياب الإدراك و إستحالة تحقق لأدنى مستويات الفهم .

**3- اللحظة الثالثة:** التي فيها يبلغ فيها الشعور مستوى الوعي ،حيث يتمّ فيه التخلّص من كل ما هو بصلة بالتجربة المحضة، و حيث و إن الإدراك يمثل المعقولات الخالصة، ذات الطبيعة الصورية و المنطقية حيث و إن المبادئ الفكرية المتكونة عند هذا المستوى توضّح القانون و طبيعة المبدأ الذي يربط بين المستوى الأول و المستوى الثاني.

### 7-التأثيرات الفكرية و الفلسفية السابقة.

استوحى **بورس** جزءا من أفكاره الفلسفية التي تتعلق بنظرية المعرفة من الفلاسفة السابقين والذين تأثر بهم تأثيرا واضحا، ومن بين هؤلاء الذين يذكرهم في أعماله من بينهم الفيلسوف الألماني **كانط**.

كان **كانط** يرفض بشكل قطعي الحدوس العقلية، حيث ان الفكر لا يمكنه أن يتبلور وأن يظهر للوجود الا اذا تم من خلال مقولات و هذه المقولات التي ينظر اليها كانط على أنها كيانات قبلية والتي تتيح لنا تعقل المعطى الحدسي باعتبارها مبادئ للفهم الخالص وهي المبادئ الأولية التي تحدد التجربة.

و اذا غابت هذه المقولات ستظل الحدوس الحسية عمياء و اذا غابت الحدوس الحسية فان المفاهيم لن تكون سوى كيانات عمياء.

لقد طرح **كانط** سؤالاً نهائياً في القرن 18 عشر، وهو سؤال يتعلق بكيفية حدوث الأحكام التركيبية القبلية؟ حيث وان مفهوم التركيبي لا يمكن رده الى الحدس كما تصور كانط اذ ان بورس تساءل عن مشروعية الحديث عن التركيبي بحد ذاته وهذا هو السؤال الذي كان يود بورس أن يستبق كانط في تساؤله حول الأحكام التركيبية القبلية ذلك لأن لهذه المسألة أهمية قصوى تعد هذه الأهمية في تصوره للبناء الفلسفي من خلال نظرية المعرفة هي المسألة الابستيمية بامتياز.

تتلخص فحوى الاشكالية الابستيمية في امكانية رد ما هو متعدد الى ما هو مفرد يتساءل **بورس** قائلاً: "ان ذلك يكون ممكناً فقط من خلال التمثلات حيث ان الكينونة (الوجود) هو ما يمكن تمثله والتمثل (التصور) هو عبارة عن سيرورة وتتابع منظم للعلامات.

## 8- البنية الثلاثية للعلامة

المقولات السيميائية: يقول **بورس**: "العلامة هي أولى عندما تحيل الى نفسها وهي ثانية عندما تحيل الى الهنا والآن اللذين يتحرك بداخلهما الموضوع، وهي ثالثة عندما تحيل الى مؤولها".

الأولانية: مقولة عامة، هي فكرة الأول المطلق الذي لا يمكن أن نفكر فيه من خلال أجزاء: مثال السيارة كلمة تقال لفرد لم يرى من قبل سيارة ولم يسمع بها من قبل فانه في هذه الحالة لن يدرك أي مضمون أو معنى فكري، ولن يتجاوز فكره حدود سلسلة من الأحاسيس التي قد تثيرها لديه طريقة النطق أو طريقة التأليف لمجموعة من الحروف ويقول في هذا الصدد: "مقولة الأولانية هشة، لدرجة أنه أي تماس معها فهو تدمير لها".

الثانائية: هي النمط الذي يوجد عليه الشيء كما هو في علاقته مع شيء ثان آخر في علاقة ثنائية دون تدخل عنصر ثالث آخر.

هي المقولة التي تعين وجود الواقعة الفردية حيث يكون فيها الانتقال من الامكان الى التحقق، حيث يقول: "فبالإضافة الى نوعية الأشياء، هناك الأشياء ذاتها، التي توجد فعلياً في انفصال عنها، فنحن لا نكف عن الاصطدام بها رغماً عن انفصالنا عنها". يقصد بهذا القول أن في المقولة الثانية يحصل أن الظاهر يبدو لنا من خلالها .

يقول: "اذا سألتكم أين يمكن تحيين حدث ما، فستردون قائلين: أنه قد وقع في زمن معين وفي مكان معين.

ان تحديد المكان والزمان أمر يتضمن تحديد مجموعة من العلاقات التي يكون فيها الحدث أو الواقعة في علاقة مع الموجودات الأخرى"

ان الواقعة هي بمثابة التحقق الفعلي الذي يتم من خلال الحدود التي تشير لأي موجود كان، والمقصود بالحدود: الزمان والمكان، ان الأشياء لا تدرك الا متحيزة في المكان ومتعاقبة في الزمان.

الحجة: فاذا كان الأحمر في ذاته غير قابل للوصف واذا كان الألم والسعادة غير قابلين للتحديد من خلال خصائصها الذاتية فان الانتقال الى الثنائية معناه نقل هذه الاحساسات كأنواع من طابع اللامحدد الى الطابع المحدد ضمن وقائع قابلة للدراك أي موجودات عينية. فالأحمر قبل وجود شئى آخر لم يكن سوى امكانية لكنه وقد تجسد في ثوب أحمر فانه سيتحول من الامكانية الى الوجود فهو قابل للتعين.

المثال : السيارة في هذه المقولة تصبح موجودة بحيث تصبح السيارة بوجودها تحقيقا للسيارة كإمكانية

الثنائية هي مقولة الواقعي والفردي انها مقولة التجربة والواقعة والوجود أي وجود الشئ ووجود الواقعة، انها مقولة هنا والآن وانها مقولة الفعل ورد الفعل.

**الثالثية:** العنصر الثالث الذي يجمع بين الأول والثاني سيقوم بالكشف عن القانون الذي يجعل من تحقق الامكان داخل الوجود أمرا ممكنا ومعقولا: أي نظام الرمزية الذي يمكننا من التخلص من مقتضيات التجربة الصافية لغرض واحد هو امتلاك العالم فكريا. ان الاحتكاك المباشر مع الواقع يعتبر مجرد وهم بالنسبة الى بورس اذ ان الانسان لا يلج الى العالم الخارجي دون وسائط حيث انه يمكنه أن يفعل ذلك من خلال اللغة والدين والأسطورة والخرافة والتي تعد كلها وسائط ولوج الانسان الى عالم الأشياء.

يمسك بالبعد الرمزي للتجربة الانسانية لأجل انتاج المعرفة وتداولها وهذه هي الوظيفة الأساسية التي تقوم بها الثالثية: ان العبارة سقراط انسان يعني أن سقراط انسان يملك مجموعة من الخصائص التي عادة تعرف بها الفصيلة البشرية والعبارة التي تقول الألماس صلب تعني القول أنه لا يمكن أن يخدش حتى باستعمال الآلة. الثالثية هي الأداة التي يستعملها الانسان للتخلص من التجربة الفردية واسقاط أسس تكتيف مجموعة التجارب الفردية الشاهد هو القول: "الانسان يوجد بداخل الرمزية ويشكل فكره من خلال العلامات بواسطة الثالثية اذ يمكنه أن يمسك بالواقع (الثنائية) وكذلك الأمر بالامكانية (الأولانية).

يرى **بورس** أن علاقة الانسان بالواقع والعالم هي علاقة تقوم على فكرة يعتقد بها **بورس** وهي أن الانسان هو بذاته العلامة ذلك لأن هذه العلاقة ليست مباشرة بل تكون من خلال وسائط رمزية مؤولة حيث يرى أن الفكر ليس بالنوعي أي من جنس الانواع لأن الانواع خالدة ومستقلة عن الزمن ومستقلة عن أي تحقق فالفكر يتميز بصفة العموم والكلية لأنه يحيل على مجموعة الأشياء الممكنة وليس فقط على تلك الموجودة .

المقولة الثالثية لعناصر الظواهر تشمل على ما نسميه بالقانون أو القواعد اذا نظرنا عن قرب فاننا نعتبرها فكرا فهي كالعملة ذات الوجهتين فالأفكار ليست عنده لاهي بأنواع ولا هي وقائع ولا يمكن لمجموعة من الوقائع مهما كانت أن تشكل القوانين لأن طبيعة القانون تتجاوز بكثير حدود الوقائع المتحققة.

بهذا الموقف يعد الفيلسوف **بورس** مؤسسا حقيقيا لما يسمى بالفلسفة المفتوحة خاصة اذا فهمنا بأنه لا يؤمن في الفكرة التي مضمونها بأن الموضوعات لا يمكن ادراكها في ذاتها بل انها تدرك باعتبارها سلسلة من الاحالات الدلالية اذ يعتبر بأن العلامة لا تعين الأشياء فحسب وليست انتادا لمعنى فحسب، بل انها وفي المقام الأول تعد أداة رئيسية في تنظيم التجربة الواقعية وتقديمها لنا في صورتها كتجربة رمزية.

وعندما نسعى الى تتبع المسار السيميائي للعلامة وأردنا أن نحدد خاصيتها فان نجد **بورس** يضع تمييزا بالغ الهمية حيث انه يفصل بين العلامة المنجزة وبين العلامة المثال أي بين مايسميه في اصطلاحه هو (1935-1931) بـ **TOKEN** و **TYPE** حيث ان الأيقونة تبقى العلامة المثال في احتفاظها بمعناها حتى وان تعدد المبنى واختلف شكله في اللغات الأخرى.

ولذلك وفي اطار مايدعى بالفعل التواصلّي أو الفعل الاعلامي فكل موضوع مادي أو أية واقعة أو حدث ما أو ماكان على شاكلته فهو علامة لأنه يقدم لنا معلومة ما أو يخبرنا بخبر ما أي كل موضوع فيزيائي يكون قابلا للتأويل.

ومن طبيعة وخصائص العلامة أنها:

أ- قابلية اعلامية تواصلية في الزمان والمكان.

ب- القابلية للتأويل.

التحليل: هناك أنواع مختلفة من العلامات فمنها ماهو كلامي (خطابي) حيث وان بواسطة العلامات الخطابية نؤقل علامات من نوع مختلف ومن خلال العلاقات التي تربط بين أنواع العلامات الخطابية يمكننا اعادة بناء علاقات بين أنواع العلامات الغير الخطابية. وأنها خاصية العلامات الخطابية التي لا تتميز بها غيرها من العلامات في حالة أنواع العلامات الغير الخطابية فاننا نقوم بجمعها وتصنيفها فمثلا: - صوت دق الجرس بالنسبة الى العمال يعني أنه حان وقت التوقف من العمل. -العلامة الضوئية تعني أوامر تنظم أفعال سائق السيارة. -العلامة تكون عبارة عن سلوك ففي تحريك الرأس الى الأعلى ثم الى السفلى هي علامة للقبول، تحريك اليد هي علامة التوديع.

وهناك نوع آخر من العلامات وهي تشكل انواع خاصة من العلامات حيث تكون العلاقة بين العلامة والموضوع المعلم عليه هي علاقة ظاهرة وواضحة في حالة مثلا: الصور، الرسومات، أو الصور الفوتوغرافية عندها نتحدث عن أنواع العلامات الأيقونوغرافية وهي التي تكون (الصور) تعبر عن موضوعات مادية واقعية عند التقاط الحواس لها.

وأما فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي في التخاطب والتواصل فان العلامات تكون تعبيرات عن موضوعات لامادية أي تكون موضوعات مجددة ولايسع الحواس التقاطها حيث يتعذر الأمر ولتقريب الفهم خذ المثال الآتي: عند الحاجة في التعبير عن الأخلاق المثالية السامية، أو الفضائل الانسانية وكذلك العواطف النبيلة والقيم الدينية أو المفاهيم السياسية.

فقولنا عموما أن الصليب هو المسيحية، أن الهلال هو الإسلام أن البومة هي الحكمة، أن الأسد هو الشجاعة فاننا نلاحظ بأن العلامات التي ايتعملت ليست فارغة المضمون ولكنها ممثلة لأنها لها عمق تاريخي وثقافي ولها وقع فكري بالغ الأهمية بل أكثر منه فهي علامات لها وقعا عاطفيا اذ انها لها القدرة على التأثير على كيان الأفراد تأثيرا كبيرا على أجسامهم وأرواحهم.

لا نستطيع أن نقف فقط عند هذا التصنيف ولا يمكننا اعتباره تصنيفا نهائيا للعلامة حيث توجد تصنيفات في ذات السياق ولكن تصنيف **بورس** يتميز عن غيره بأنه يشكل وحدة تواصلية وإعلامية من خلال مفهوم المؤلف.

الى جانب هذا تتضح أهمية الفصل بين العلامة المنجزة و الأيقونة، ففي المثال الذي ذكرناه " فأن الصومعة و الأجراس هي تمثلات و رموز تدل عن العقيدة التي يؤمن بها المسيحي".

العلامة ليست تعد تعيينا لأشياء فحسب وليست انتاجا لمعنى فحسب انما هي في المقام الأول الأداة الرئيسية المنظمة للتجربة الواقعية ومثلها أمانا باعتبارها تجربة رمزية.

## 9- العلامات بين المبنى و المعنى

في تصفحنا لأعمال **بورس** نقف على نصوص أصيلة وهي اشارة واضحة على عبقريته وعن مدى تميزه، كما أنه كثير الاطلاع وواسع الثقافة وإمامه بالعلوم التي عاصرها: في الرسالة التي بعث بها الى السيدة ولبي ( جانفي 1909 ) ، يذكر فيها أن دراسته العميقة للغات مثل، اللاتينية ولغة الزول و الماجيارية و الباسكية و العربية ، أمر ساعده بالاهتمام بثقافات الشعوب الاخرى كما أنه أصبح أكثر تفتحا على الغير. وهذا فعلا ما نلاحظه من خلال تصفحنا لأعماله ونصوصه ، فانه يرجع الى كل من **ديكارت و كانط** كما يرجع أيضا الى **هيرمولوس بارباروس** و **الى شوفين**، الى **روسلين و دانس سكوت** و الى **الأكامي و زنون الايلي**، ليس هذا فحسب بل كل في لغته. حيث توضح شهادة **يونغ** هذا الأمر في قوله: " أنه المفكر الفذ ، وانه المفكر الأمريكي الوحيد الذي يتميز فكره بخصوبة جمة".

لقد أتم دراسته في الرياضيات ، وعلم الكيمياء و المنطق و الفلسفة وعلوم أخرى. ويعلم عنه أنه درس كتاب "منطق العلاقات" الذي بعثه له صاحبه **دي مورغان** سنة 1866.

والملفت للذكر هو موقفه من **ديكارت** و**كانط**، حيث اهتمّ بنقد الأول واطهار مدى بطلان الأفكار الفطرية والحدوس البديهية ليتجاوزهما من خلاله موقفه القائل بأن الانسان في العلامة وأن الانسان هو بحد ذاته علامة لغيره وأظهر أن المعرفة تقوم على الادراكات الحسية من جهة الا أنه وبالرغم من انبهاره ب**كانط** حيث أنه كان يعرف عن ظهر قلب كتابه "نقد العقل الخالص" لم يمنع نفسه من انتقاده والقول فيه "...إنه من المفاجئ والعجبي أن أيقن وبكل وضوح أنه كانط يجهل المنطق التقليدي [الاريسطي]..."

وفي زاوية أخرى من الكتاب يقول عنه أيضا في موضوع المقولات: "المسألة الرئيسية كانت الآتي: إن العلاقة التي أقامها **كانط** بين المقولات الأساسية للفكر (العقل) وبين المنطق الصوري الرمزي هل فعلا كانت علاقة توابع ولواحق حقا أم لا؟ حيث جعله هذا الأمر يقول بأنّه دفع به الى التخلي عن كل الأفكار المسبقة".

هذا لمن يمعن النظر في فكر بورس يقف على أصالة فكره وإن لم ينكر بروافده مطلقا. حيث وأنّه الملاحظ عنه أنه قد كتب أهم أعماله ولم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره. حيث أنه نشر له أول عمل في 1867. فمجلة PROCEEDINGS OF THE AMERICAN ACADEMY المجلد 7 ماي 1867 عنوانه مصنف القولات الجديد ON A NEW LIST OF CATEGORIES

أما المقالات الثلاثة والتي نشرها عام 1868 فهي التي تضم جمّة فكره وخلاصة فلسفته ونظرياته والتي جمعت ونشرت تحت عنوان Collected papers of C.S PEIRCE في 1932 للناسر بول ويس وشارل هارتشون هارفارد المطبوعات الجامعية. ونضيف الى هذا المطبوعات الجديدة والمتأخرة والتي تعود الى المجلد 1 نشر عام 1982 بجامعة إنديانا الأمريكية .

والمجلد الثاني في عام 1984 والثالث 1986 تحت عنوان كبير جامع هو [Writings of Charles S. Peirce].